

وقد شكلت هذه الوضعية معضلة معرفية حقيقة حجبت كثيراً من الزوايا القضائية المهمة في تفكير فيبر وفي نظرياته السوسيولوجية المهمة" لوران فلوي 1- مقدمة: يعدّ المفكر الألماني ماكس فيبر (1864-1920) أحد أهم رواد علم الاجتماع المثيرين للجدل وأحد أبرز مؤسسيه المبادرين، ولد ماكس فيبر (Max Weber) (ماكسيمiliansكارل إميل فيبر) في مدينة ايرفيرت (Erfurt) بألمانيا في 21 إبريل عام 1864، وقد شكل الوسط الاجتماعي البرجوازي المميز الذي ترعرع فيه فيبر الحاضن الأساسي لنشأته فيبر وإبداعه الفكري وابتكاره عقريته التي اتسمت إلى حد كبير بالطابع الموسوعي [1]. واستطاع في نهاية تحصيله العلمي أن يبدأ سيرة أكاديمية مفعمة بالعطاء إلى أن أصبح واحداً من كبار علماء الاقتصاد والتاريخ والمجتمع، ويصنف على أنه أحد كبار مؤسسي علم الاجتماع، ولا سيما علم الاجتماع الإداري وعلم الاجتماع الديني. وحصل على درجة الأستاذية عن أطروحته الموسومة «التاريخ الروماني الزراعي وأهميته» للقانون الخاص والعام» في عام 1892. ولم يطل به المقام حتى عُين أستاذًا للاقتصاد السياسي في جامعة فرايبورغ في عام 1894. وتوفي في 14 يونيو 1920 في مدينة ميونيخ عن عمر يناهز 56 عاماً متأثراً بمرض الالتهاب الرئوي تاركاً وراءه إرثاً فكريّاً مرجعيّاً خصيّباً في مجال العلوم الإنسانية. وقد تجلّى هذا الإنتاج الفكري الملهم في عدد كبير من الأعمال العلمية التي ما زالت تشكل مصدراً لإلهام المفكرين والباحثين والدارسين في العلوم الإنسانية. 1923)، ومقالات في علم الاجتماع (4)، ومنهجية العلوم الاجتماعية (The Methodology of the Social Sciences)، ورجل العلم ورجل السياسية (Man of science and Man of politic)، والسياسة في الحرب العالمية [5]، والديانة في الصين (9)، Politics in world war)، The Religion of China)، وأخيراً كتاب نداء العلم أو العلم بوصفه رسالة [The Vocation Lectures: Science As a Vocation] [10]. وتدل هذه الأعمال آنفة الذكر على إسهامات فيبر في مجال العلوم الإنسانية، ولا سيما في مجالات المجتمع والاقتصاد والدين والإدارة والسياسة. وأنه خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة (أي في عامين) استطاع أن يفرض حضوره، إذ لا يمكن لأي مفكر عبقري في التاريخ أن يؤسس علمًا، وأن يسجل اسمه بين عمالقة المفكرين في عامين من الزمن فقط. ومن المؤكد الواضح أيضاً أن نيوغ فيبر السوسيولوجي احتاج إلى جهود كبيرة متراصة بذلك في تقاطعات عمره الزمني القصير، وعندما نمعن النظر في إنتاجه العلمي والفكري سنجد بأن معظم أعماله كانت -منذ البداية- تدور في تلك علم الاجتماع وتحلق في مداراته وتغور في أعماقه. وفي سياق آخر يمكن القول أيضاً: إن معظم الأعمال التي قدمها فيبر في مجال الفكر الديني ودراسات الأديان لا تخرج عن كونها فكراً سوسيولوجياً أصيلاً في منتبه ومحتواه، وقد سجل نفسه في هذا المسار على أنه أحد أهم مؤسسي علم الاجتماع الديني، وقد تجلّى هذا الأمر في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" الذي يعد بحق من أهم الأعمال السوسيولوجية التي قدمها فيبر للفكر الإنساني، وهذا الأمر ينسحب بشكل عام على كتابيه الدين في الهند البوذية والدين في الصين الكونفوشيوسية، وهي جميعها قد كرسـت لدراسة العلاقة السوسيولوجية بين الفكر الدين وقيام الحضارة الإنسانية أو تمنعها، وهذه الأعمال كانت - بدون أدنى شك - أعمالاً سوسيولوجية في مختلف تجلياتها وأبعادها ومراميها. ومنها كتابه "مقالات في علم الاجتماع"، و "منهجية العلوم الاجتماعية" و "علم الاجتماع الديني"، و "علم اجتماع الموسيقى" و "المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع"، و "نظريـة التنظيم الاقتصادي والاجتماعي". وهو الكتاب الذي قامت زوجته ماريـان فيبر (Marian Weber) بجمعـه ونشرـه بعد وفاته. ويمكنـنا القول في هذا المقام بأن النصـج السوسيولوجي في هذا الكتاب جاء نتاجـاً لاختـمار سوسيـولوجي سابق تأصلـي في التـكوين الفـكري المـبـكر عند فيـبر. ويمكنـنا بنـاءً على تصـورـنا هذا أن نـعيد القـول تـأكـيدـاً: بأنـ أعمالـ فيـبر بـعـناـوـينـها وـمـوـضـوعـاتـها تـدلـ علىـ أنـ الرـجـلـ كانـ سـوـسـيـوـلـوـجـياًـ مـنـ الـبـداـيـاتـ الـأـوـلـىـ لـنـشـاطـهـ الـمـعـرـفـيـ،ـ وـالتـارـيـخـ وـالـإـدـارـةـ وـالـسـيـاسـةـ.ـ وـيمـكـنـ القـولـ فيـ هـذـاـ السـيـاقـ أـيـضاـ:ـ بـأنـ أـعـمـالـهـ الـاـقـتـصـاديـ وـالتـارـيـخـيـ وـالـإـدـارـيـ كـانـتـ وـثـيقـةـ الـصـلـةـ بـعـلـمـ الـاجـتمـاعـ وـلـمـ تـنـفـصـ أـبـدـاـ عـنـ تـطـلـعـاتـهـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـةـ،ـ إـذـ توـفـيـ بـصـورـةـ مـفـاجـئـةـ فـيـ مـيـونـيـخـ (Munich)ـ فـيـ الـرـابـعـ عـشـرـ مـنـ حـزـيرـانـ 1920ـ وـهـوـ فـيـ السـادـسـةـ وـالـخـمـسـيـنـ مـنـ عـمـرـهـ،ـ وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ جـعـلـ كـثـيـراـ مـنـ الـمـفـكـرـيـنـ يـعـتـقـدـونـ بـأـنـ الـمـوـتـ الـمـبـكـرـ لـفـيـرـ شـكـلـ خـسـارـةـ كـبـيرـةـ لـلـفـكـرـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـ وـلـلـمـعـرـفـةـ الـإـنـسـانـيـ كـمـ أـشـرـنـاـ،ـ 1ـ-ـ 2ـ عـمـالـقـةـ الـفـكـرـ الـإـنـسـانـيـ:ـ وـلـمـ تـكـنـ تـصـورـاتـ ماـكـسـ فيـبرـ تـنـطـلـقـ مـنـ فـرـاغـ فـكـرـيـ،ـ وـبـنـيـوـنـيـةـ دـورـكـهـاـيـمـ (Durkheim)ـ وـدـارـوـنـيـةـ سـبـنـرـ (Spencer).ـ وـمـعـ ذـلـكـ فـإـنـ هـذـاـ التـحـديـ الـكـبـيرـ الـذـيـ فـرـضـهـ كـبـارـ الـمـفـكـرـيـنـ الـعـمـالـقـةـ شـكـلـ قـوـةـ حـافـزـةـ لـمـاـكـسـ فيـبرـ فـيـ الـعـلـمـ عـلـىـ اـسـتـلـاهـمـهـ وـتـجاـوزـهـ فـيـ الـآنـ الـواـحـدـ.ـ 16ـ الـكـانـطـيـةـ،ـ وـالـمـارـكـسـيـةـ نـوـاـبـضـ التـفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ وـالـسـوـسـيـوـلـوـجـيـ عـنـ مـاـكـسـ فيـبرـ.ـ 2ـ-ـ 2ـ مـثـالـيـةـ فيـبرـ:ـ وـمـنـ يـتـأـمـلـ بـعـقـمـ فـيـ مـنـهـجـيـةـ فيـبرـ سـيـرـيـ بـوـضـوحـ أـنـ فيـبرـ قدـ اـسـتـلـهـمـ كـانـطـ فـيـ مـقـولـتـهـ عـنـ مـعـرـفـةـ الشـيـءـ (The thing in itself)ـ فـيـ ذاتـهـ وـمـعـرـفـةـ الشـيـءـ فـيـ ظـاهـرـهـ،ـ وـهـمـ مـدـيـنـوـنـ فـيـ إـلـهـامـهـ لـكـتابـ كـانـطـ "نـقـدـ الـعـقـلـ الـمـحـضـ" [17].ـ وـيـعـرـفـ النـوـمـيـنـوـنـ (Noumenon-Noumène)ـ فـيـ قـوـيـةـ لـفـاظـ لـكـانـطـ -ـ وـفـقاـ لـكـانـطـ -ـ بـأـنـهـ الشـيـءـ فـيـ ذاتـهـ،ـ

وإذا كان العقل في مذهب عاجزاً عن بلوغ حقائق الأشياء في ذاتها (الشيء في ذاته *Noumena*) فكيف لهذا العقل أن يتمكن من الوصول إلى حقيقة الذات الإلهية وهي أسمى معاني الوجود المتسامي على كل أشكال الحس؟ [21]. أي إلى الضمير أو (القانون الأخلاقي) [22]. وأقصى ما يمكنه أن يدركه لا يتجاوز مظاهرها، بل جلّ ما يمكن لمفاهيم العقل أن تفعله هو أن تقدم لنا تصوراً يتنااسب مع خصائص العقل الإنساني وقدراته [23]. ويميز كانت، والإنسان ينتمي إلى العالم المحسوس بوصفه جسداً وإلى العالم المعمول بوصفه عقلاً وروحاً؛ وقد سماه عالم النوميني. وهي كلمة لاتينية مفردها *Neumenon* وجمعها *Neumenon* والمقصود بها حقيقة الأشياء في ذاتها لا في ظواهرها. والحواس تدرك الظواهر بينما العقل يدرك حقيقة الأشياء النوميني” [24]. ومن يتأمل سوسيولوجيا ماكس فيبر سيجد بوضوح أنه تلقي منهجه كانت واستفاد منها في التأسيس لمنهج سوسيولوجي يعتمد الفهم والتأنويل؛ لأن الظاهرة الاجتماعية لا تدرك جوهرياً وفق منهجه الفينومينولوجيا آنفة الذكر أي: لا يمكن إدراكتها في ذاتها، ولا يمكن قولبتها في قوانين جامدة، لأن قولبتها تؤدي إلى تشويهها وتدمير معانيها. على هذا الأساس يرى فيبر أن علم الاجتماع القائم على منهجه التفسير (السيبي) لا يستقيم مع الظواهر المجتمعية التي تحتاج إلى أنماط مثالية خاصة لدراستها وفهمها. وهذا هو الأمر الذي تقوم به المنهجيات السوسيولوجية الوضعية (كونت، ودوركهايم، وماركس) ومثل هذا التفسير يبقى شكلياً لا يستطيع إدراك بعد الوجданى في الظاهرة الاجتماعية؛ وقد يكون ممكناً لنا أن نغوص في أعماقها من خلال التأويل الذي يمكنه أن يستكشف الجوانب الخفية في الظاهرة المدرسة. فالظواهر الاجتماعية ظواهر ذاتية ثقافية وجذانية غائية معنية لا تقبل القولبة، وتنفلت دائماً من قبضة السببية، وعلى هذا الأساس يقرر فيبر أن الظاهرة الاجتماعية لا تكرر أبداً، فهي ظواهر فريدة في التاريخ الإنساني وهي تحتاج للمنهج الوجданى التفاعلي؛ وكأننا بماكس فيبر يريد أن يقول: فإننا لا ندرك طبيعة الظواهر الاجتماعية إلا من خلال المعايشة والتفاعل الوجданى الصميمى. فالقول: *بإن النار محرقة قانون سببي ولكن لا يمكنه أن يجعلنا ندرك مفهوم الاحتراق إلا إذا عايشناه* وجربناه على مبدأ قول الشاعر لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

ويتضح لدينا - في هذا المقام - أن ماكس فيبر قد أليس تصور كانت عن الشيء في ذاته ”النومينون“ والشيء في مظهره ”الفينومينون“ حلة سوسيولوجية، وذلك بعد أن قام بتعديلاته وأسس عليها منهجه في الفهم القائم على الاستبصار الذاتي للوصول إلى جوهر الفعل الاجتماعي. فال فعل الاجتماعي يمكنه أن يفهم ويدرك ويؤول ولا يمكن له أن ينتظم معرفياً في قوانين صارمة جامدة كالتي نراها في الطبيعة. وهي في أفضل أحوالها معرفة شكلية سطحية، تأخذ بما يظهر من السلوك، وليس بما يستبطن منه ويفهم، وكما يقول المثل ذلك عليك بما ظهر من الأمر وليس بما خفي واستتر. ومن أجل مزيد من التوضيح نقول هنا: إن منهجه ماكس فيبر تقوم على الفهم والتأنويل، أو بما يطلق عليه الهيرمينوطيقا وهو المنهج الاستبصاري الذي يقوم على التأويل. 3- علم الاجتماع الفيبرى: جاءت السوسيولوجيا الفيبرية على هيئة انفجار ثوري كبير في مجال العلوم الاجتماعية. وقد تجلت هذه الانتفاضة الثورية في تقديم رؤى سوسيولوجية ومعرفية مغايرة للنظريات السوسيولوجية الكبرى التي روج لها كبار المفكرين من أسلافه ومعاصريه من أمثال: ابن خلدون وكارل ماركس ودوركهايم وأوغست كونت، وجاءت عطاءات فيبر المعرفية لتشكل قطباً جديداً في مجال الفكر الاجتماعي، غالباً ما يطلق عليه التيار التأويلي في علم الاجتماع كما في العلوم الإنسانية. ففي الوقت الذي كانت السوسيولوجيا العامة، في مختلف تياراتها الوظيفية والبنيوية والماركسيّة، تحث الخطى سعيًا إلى تأسيس علم الاجتماع وتأصيل مناهجه على منوال المنهجيات المعروفة في العلوم الطبيعية، رفضاً كل المنهجيات التي تتناول الظواهر الاجتماعية بوصفها كيانات مادية جامدة تخضع لقوانين مجانية لتلك التي تقوم في العلوم الطبيعية. وإذا كان هؤلاء جميعاً ينظرون إلى المجتمع بوصفه امتداداً للطبيعة في أكثر أشكالها تعقيداً، وعلى خلافهم جميعاً، ينظر إلى المجتمع بوصفه ذاتاً، فالمجتمع طاقة روحية سيكولوجية نفسية معقدة لا يمكن للعلوم القانونية الوضعية أن تخترق جدرانها وأن تكتنف معانيها، كما يحدث في المادة الجامدة، بل يمكن فهمها وتفسيرها ومعرفتها.

فالمجتمع يتمثل بوصفه نمواً لتفاعل كائنات ذاتية أو صيغة تفاعل جدلية بين ذوات متفاعلة بالإرادات والنوايا والمعاني والقيم، وهي في جماعها تشكل نسيجاً نوعياً ثقافياً روحيًا يستعصي على الانتظام في قوانين جامدة كالتي نعتمدها في استكشاف العالم المادي، ومثل هذا النسيج الثقافي يحتاج من أجل فهمه إلى طاقة منهجة جديدة تعتمد منهجيات الاستبصار والتأنول والحدس والاكتناه الوجدانى، فالظواهر الاجتماعية ليست كالذرات المادية التي تتحرك دون غاية أو معنى أو دلالة، وعلى عكس ذلك فالإنسان في علاقاته وتفاعلاته يتحرك وفقاً لمبدأ الغايات والمعاني والدلائل، وهذه لا تحكمها قوانين لأنها من نمط الوجدانيات التي تنتظم في قوانين محددة. إنها تميز بعمق وجذانى لا يكتشف إلا بمنهجيات وجذانية تعتمد التبصر والاستبصار والاستكشاف القائم على اكتناه العمق الدلالي والمعنوي في سلوك الإنسان. وباختصار يشكل الفهم والتأنول والتفسير ثلاثة مراحل أساسية في

مستويات المنهج السوسيولوجي عند فيبر ”[27]. 3-1- الثورة المنهجية – من التفسير إلى التأويل: استطاع فيبر أن يحقق حضوره المميز في الحقل الاجتماعي وأن يحقق نجاحاً كبيراً في تأسيسه لعلم الاجتماع التأويلي (Interpretive Sociology) الذي يشكل نمطاً سوسيولوجياً مبتكرةً ومختلفاً عن التيارات السائدة في علم الاجتماع، ولا سيما الاتجاهات البنوية والماركسية السائدة في الحقل السوسيولوجي. التي تحاول استكشاف القوانين الحاكمة للظواهر الاجتماعية، وهذا يعني رفضه لسوسيولوجيا دور كهايم وسبنسر وأوغست كونت وغيرهم من المؤسسين لعلم الاجتماع. ويستند رفضه هذا إلى أن الدراسات الوضعية تأخذ طابعاً ظواهرياً، معنى أنها تستكشف العلاقات الظاهرة القائمة في المجتمع على غرار ما يجري في الطبيعة، وهذه المنهجيات لا تستطيع جوهرياً اكتشاف المعاني والدلالات في السلوك الإنساني الذي يتميز بأنه سلوك غائي معنوي ذاتي لا يمكن إدراكه بالقانونيات المعروفة في السوسيولوجيا الوضعية (Positive sociology)، دون القدرة على فهمها وإدراكتها وتأويلها وفقاً للمعاني والدلالات الإنسانية. ويستند ماكس فيبر في استنتاجاته هذه إلى أن الظاهرة الاجتماعية تختلف نوعياً جوهرياً عن الظواهر الطبيعية، أما الظواهر الاجتماعية فهي ظواهر حية معنوية دلالية غائية، لأنها تكشف ما هو خارجي وظاهر وشكلي، ولا يمكنها أن تغوص في الأعمق، وتغور فيطبقات الداخلية للظاهرة لتبث فيما هو معنوي ذاتي وأخلاقي وإرادي، فالهوية الاجتماعية للفعل الإنساني متحفية غائرة خلف الظواهر وفي أعمق المظاهر، ولا يمكن الاستدلال على جوهريتها إلا بالاستبصار المعنوي والاستكشاف الذاتي الداخلي للفعل الاجتماعي. ودور كهايم، وغيرهم من المفكرين، وعلى خلاف المنهجيات الوضعية هذه جاء إعلان ماكس فيبر ميلاد منهجة انكاستاسية جديدة ترفض قانونية المجتمع، وتوسّس لرؤية جديدة ومنهجية تعتمد على الفهم والتأويل، 3-2- غائية الفعل الاجتماعي يؤسس فيبر رؤيته لهذه المنهجية على الطبيعة الغائية والمعنوية للفعل الاجتماعي، وهذه الطبيعة غالباً ما تكون خفية في السلوك الإنساني، مثقل بالمعاني والغايات، والآخر بغية الشهرة، وأخرون للدفاع عن الوطن، إذ لا يمكن أن نحدد غاية الحركة في الذرات والإلكترونات وانسياب أشعة الشمس واسترسال نور القمر وحركة النمو في النباتات. فالمغناطيسي يجذب الحديد ولكن لا نعرف لماذا يفعل ذلك؟ ولا ندرى لماذا لا يجذب الخشب؟ وكذلك الخشب يطفو على سطح الماء ولا ندرى لماذا لا يطفو في الهواء؟ النار تحرق ولكننا لا نعرف ماهية الإحراء وما جوهر النار أو جوهر الإحراء؟ كما لا ندرى ما جوهر الجذب المغناطيسي؟ [29] وكل ما يستطيع العلماء فعله إزاء هذه الظاهرة يتمثل في العمل على الضبط القانوني لها، ولا يمكن الوصول إلى جوهراها، وباختصار، الدراسة العلمية للظواهر المادية تقدم لنا إجابات عن الكيفية التي تحدث فيها الأشياء؛ وسنتحدث لا حقاً عن الانتقادات الكبيرة التي يمكن أن توجه إلى أسلوبه وطريقته ومنهجه في البحث الاجتماعي، وحسبنا أن نشرح الطريقة المنهجية التي اعتمدها في التأسيس لمنهج القائم على الفهم والاستبصار التأويلي [30]. 4- علم الاجتماع التأويلي (Interpretive Sociology): ولا سيما كتابه ”البروتستانتية وروح الرأسمالية“ الذي يتضمن المقومات الأساسية لعلم الاجتماع الديني. وفي كل الأحوال فإن كتاب ”الاقتصاد والمجتمع“ ([31]) هو أشبه بموسوعة فيبرية تضمنت مختلف آرائه وتصوراته الاقتصادية والاجتماعية في آن واحد، وهذا يدل على الطابع الموسوعي لهذا الكتاب [32]. بتأويله ثم بتفسير مساره وفعاليه تفسيراً سبيلاً [33]. وفي سياق آخر يقول: ”إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم، عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي“ [34]. يتصرف بوعي، تحركه مقاصد وأهداف، وهذا يعني أن علم الاجتماع يجب أن يركز على فهم الفعل الإنساني والتفاعل القائم في المجتمع بين الأفراد“ [35]. وإذا كان المجتمع يتكون من أفراد بالضرورة فإن هؤلاء الأفراد لا يوجدون إلا في حالة الحركة والنشاط والتفاعل، والفعل يشكل جوهر حياة الفرد وجوده وجوهر الحياة الاجتماعية ومعناها، والفعل الاجتماعي أي فعل يجب أن يكون إنسانياً؛ ويمكن للفعل أن يكون فردياً يدور حول ذاتية الفرد أو أن يكون اجتماعياً يدور في فلك الآخر. وعلى هذه الصورة يمكننا تصور المجتمع على صورة التفاعل الذري بين الذرات (الأفراد)، وكما يحدث في عالم الذرات تتطوى الذرة في ذاتها على فعل ذاتي يتمثل في حركة أجزائها في داخلها (الفوتونات والنترونات التي تدور في داخل الذرة)، كما تلتزم الذرة في أنساق من الذرات المشابهة لتكوين الأجسام والأشياء. وعلى هذا النحو يميز فيبر بين السلوك الفردي عندما يكون الفعل فردياً غائياً خارج سياق العلاقة مع الآخر، والسلوك الاجتماعي الذي يشمل حالة التفاعل بين الفرد والأفراد الآخرين.

باختصار: المجتمع والجماعات نسيج ذري من تفاعلات الأفراد وسلوكاتهم وأفعالهم الغائية. وترتسم نقطة البداية في سوسيولوجيا فيبر في تناوله لل فعل الإنساني والاجتماعي بوصفه الموضوع المركزي والأساسي الذي ينطلق منه علم الاجتماع. أو بالأحرى قد يكون صارأً عن قوة خارجة اجتماعية، أو ناجماً عن أرادة ذاتية حرة. إذ لا يمكن للفرد أن يحيا إلا من خلال النشاط والفعل الاجتماعي، فالفرد لا يوجد إلا في حالة الفعل ليضمن حياته وجوده. والفعل الاجتماعي لا يتم إلا في إطار جماعة؛ أي في

صلة مع الآخرين، وأن الفعل يكون في نسق التفاعل مع الآخرين، وهذا التفاعل الاجتماعي بين الجماعة أو في المجتمع يشكل النسيج الاجتماعي. وهذا يعني أن الأفراد يوجدون من خلال الأفعال التي يمارسونها في صيغة تفاعل اجتماعي بين الأفراد، وينبأ في نسج أفكاره السوسيولوجية من خلال تناوله للفعل الاجتماعي الذي يشكل منطلق الحياة الاجتماعية. ويرى أن الفعل الاجتماعي يتميز عن الفعل الطبيعي بطبيعته الغائية والمعنوية، كما كان يحدث لدى الأقوام البدائية فيما نسميه بالظاهرة الأنانية (Animism)، إذ كان ينظر إلى الكائنات الطبيعية والحياة على أنها كائنات حية مماثلة له في جوهره النفسي والإرادي. فالإنسان القديم عندما أراد فهم الظواهر الطبيعية لم يستطع فهمها إلا من خلال تصوراته الذاتية عن الإنسان نفسه؛ أي مما يشعر به ويراه، إذ يتوجب علينا أن نبحث عن المقاصد والمعاني والغايات والدلائل في سلوك الإنسان وفعله الاجتماعي كي نفهمه. وبناءً على ما تقدم يمكن القول: “إن علم الاجتماع -بحسب ماكس فيبر- هو دراسة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد داخل المجتمع، واستكشاف الطريقة التي يعطي فيها الناس فهماً ذاتياً للعالم، واستقصاء الكيفية التي يسلكونها في حياتهم الاجتماعية،